



وعد الله تعالى عباده المؤمنين بالنصر، ووعد الله حق لا يختلف فمن أصدق من الله قيالاً ومن أصدق منه حديثاً. قال تعالى: **{كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْبَنَنَا أَنَا وَرُسُلِي}** [المجادلة: 21]، كما قال: **{وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}** [الصافات: 173]، وقال: **{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}** [غافر: 51]، فضمن الله لهم النصر في الدنيا والآخرة.

ونصر الله لعباده أمر متقرر شرعاً وقدراً لا يرتاتب فيه مؤمن صادق الإيمان، لكن النصر له أسباب واقعية تجتبه وتحوله من وعد حق إلى واقع حقاً، وهو ما يمكن تسميته بشروط النصر؛ هذه الشروط بعضها مذكور مع الوعد نفسه وبعضها مذكور في مواضع آخر، والمذكور في مواضع آخر هو مع النظر السديد تفصيل لما هو مذكور مع الوعد؛ وإنما نص عليه استقلالاً لأهميته من جانب وربما يغفل عنه الناس من جانب آخر. فالنصر مضمون ومقررون بصفة الإيمان فمن لم يحقق الإيمان الواجب فلا يتضرر عوناً من الله تعالى، والإيمان ليس قوله فقط بل أهم ما يميزه هو وجود العمل الذي يصدق القول – عمل القلب وعمل الجوارح، قال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِمْ آيَاتُهُ زَانُهُمْ إِيمَانُهُ وَأَعْلَى رَبَّهُمْ يَرْتَكُلُونَ 2}** [الأنفال: 2]، وقال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَاءُوكُمْ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوكُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}** [النور: 62]، وقال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** [الحجرات: 15]؛ وهذه الآيات تبين أن الإيمان لا يكون إيماناً حقاً ولا يكون صاحبه صادقاً فيما يدعيه حتى يجمع العمل إلى القول والتصديق القلبي الذي يدل على اليقين والاطمئنان.

والإيمان هو الذي علق به وعد الله لعباده بالنصر والتمكين: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلَفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكَّنَنَّ لَهُمْ بِيَنْهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مَنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}** [النور: 55]؛ ف بالإيمان بالإيمان الواجب والعمل الصالح أول شروط نصر الله لعباده المؤمنين، وما يترتب على الإيمان من الإخلاص لله وتقواه في السر والعلن.

والمؤمن لا يكون مؤمناً حقاً إذا ترك الجهاد في سبيل الله أو أهمله: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا**

وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [الحجرات: 15]; فجعل التصديق وعدم الشك والارتياط قريناً للجهاد في بيان محددات الإيمان، ولا يمكن العبد المؤمن من الجهاد بالنفس من غير استعداد وإعداد العدة، ومن ثم قال الله تعالى: {وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَنِ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأفال: 60]; فصار إعداد للجهاد دليلاً على عزم المؤمن على الجهاد في سبيل الله، وأن عدم الإعداد دليل على عدم إرادة الجهاد؛ كما قال تعالى في بيان ذلك: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعْدُوا لَهُ عُدَّةً} [التوبية: 46]، فأصبحت شروط تحقيق النصر على أعداء الله تكمن في تحقيق ثلاثة أمور مجتمعة: تحقيق الإيمان، والجهاد في سبيل الله، وإعداد العدة له. وإذا كان الإيمان شرطاً رئيساً في حصول النصر وتأييد الله لعباده المؤمنين وعونه لهم وإمدادهم بالملائكة التي تقاتل في صفهم فإن تحقيق الإيمان وحده لا يكفي في حصول النصر إلا عند العجز عن تحقيق الأسباب الدنيوية من إعداد عدة وتسليح وتدريب وإنفاق. وما دام المسلم لا يعجز عن إعداد العدة للجهاد فيجب عليه الإعداد والاستعداد؛ إلا كان تقصيره في هذا الجانب تقصيرًا في تحقيق شرط واجب من شروط النصر قد يمنع الله بسببه نصره عن عباده المؤمنين، بل الإعداد واجب ولو كان الجهاد ساقطاً للعجز عنه؛ قال ابن تيمية: «يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز» [1]، ولا يكفي أن يقول المرء أنا مؤمن وأحب دين الله وأتمنى نصره وظهوره على الدين كله وأندعو بحصول ذلك بالليل والنهر ثم يقعد عن إعداد العدة الممكن له إعدادها؛ لأن من أمر بهذا هو من أمر بذلك وطاعته واجبة في الأمرين. وقد كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يعد العدة كأفضل ما يكون الإعداد، والصحابة كذلك؛ ثم يدعون الله ويستغثون به ويستنصرونه على عدوهم، ولم يكونوا يقتصرن على الدعاء ويهملون أو يقتصرن في العمل بالأسباب، قال تعالى في شأن غزوة بدر: {وَلَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} 123 إذ تقول للمؤمنين أنك يكفيك أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ 124 بل إن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ 125 وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ فُلُوْبِكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: 123 - 126]

وقد أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم العدة ورتب الجيش ثم لجأ إلى الله تعالى بالليل يصلي ويدعوه ويستنصر به، بعدما قام بما يمكنه من اتخاذ الوسائل التي يمكن بها من مواجهة عدوه، ولم يركن إلى الدعاء فقط ويقول إنني رسول الله وهو ناصري؛ روى مسلم في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهو ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعين رجلاً، فاستقبل النبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنت لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداءه عن منكبيه، فأتاها أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: {إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّى يُمْدُكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأفال: 9] فأمده الله بالملائكة» [2].

فدعاء الله والاستغاثة به والاستنصرة بقوته لا يستغني عنه أحد ولو ملك كل أسباب القوة؛ فهو القائل: {إِنَّ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ} [آل عمران: 160]، ومع الدعاء والاستغاثة بالله لاستنزال النصر الذي يدل على أن المؤمن الصادق في إيمانه يؤمن أن الأمر كله لله ومع ذلك فلا يستغنى عن الإعداد وترتيب أوضاع المقاتلين، قال تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلَكَ تُبُوَّى الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقَتَالِ} [آل عمران: 121]، إضافة إلى ما تقدم فإنه لا غنى عن الصبر في المواجهة والثبات واحتمال الشدائد برغم ما يمكن أن يقع من خسائر في بداية المواجهة فإن العبرة بال نهايات لا البدايات، فإن أي مواجهات لا بد أن تحدث فيها خسائر فلو تراجع المسلمين أو انهزوا مع أول الخسائر لأبيدوا واصطلموا؛ ومن ثم حضهم الله تعالى على الثبات فقال تعالى: {إِنَّمَا يُأْمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَأَثْبِتُوا وَإِنْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

لَعْنَكُمْ تُفْلِحُونَ [الأنفال: 45]، وقال: **{اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}** [آل عمران: 200]، وكان الفرار من ميدان القتال عند ملاقة العدو من كبار الذنوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات...»، وذكر منها الفرار من الزحف أو التولي يوم الزحف؛ فتحقيق النصر على عدو الله ورسوله والمؤمنين يلزم له أمور منها الإيمان الصادق وتقوى الله والإخلاص له والجهاد في سبيله والإقدام والثبات والصبر وترك التخاذل والانهزام - حتى لو وقع في صف المسلمين جراحات؛ فإن الجراحات لا يخلو منها طرف من الأطراف المقتالية: **{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ}** [آل عمران: 140]، والبقاء صفاً واحداً وعدم التنازع: **{وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَنْهَبَ رِبُّكُمْ وَاصْبِرُوا}** [الأنفال: 46]، وعدم الاستماع للمنافقين أو المخذلين الذين يثبطون عباد الله أو اصطحابهم وإشراكهم في الجهاد: **{لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا}** [التوبية: 47]، فيكون من نتيجة اتباعهم والاستماع لهم وإشراكهم تمكين الفاسدين والفاشين وتوهين أمر الدين.

نصر الله من نصر دينه وخذل من خذله.. اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أولياؤك ويذل فيه أعداؤك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.. اللهم اجعلنا منهم.